

(سورة الاخلاص مكية وهي أربع آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد - 1. الله الصمد - 2. لم يلد ولم يولد - 3. ولم يكن له كفوا أحد -

4.

(بيان) السورة تصفه تعالى بأحدية الذات ورجوع ما سواه إليه في جميع حوائجه الوجودية من دون أن يشاركه شئ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وهو التوحيد القرآني الذي يختص به القرآن الكريم ويبنى عليه جميع المعارف الاسلامية. وقد تكاثرت الاخبار في فضل السورة حتى ورد من طرق الفريقين انها تعدل ثلث القرآن كما سيجيء إن شاء الله. والسورة تحمل المكية والمدنية، والظاهر من بعض ما ورد في سبب نزولها أنها مكية. قوله تعالى: " قل هو الله أحد " هو ضمير الشأن والقصة يفيد الاهتمام بمضمون الجملة التالية له، والحق أن لفظ الجلالة علم بالغلبة له تعالى بالعربية كما أن له في غيرها من اللغات اسما خاصا به، وقد تقدم بعض الكلام فيه في تفسير سورة الفاتحة. وأحد وصف مأخوذ من الوحدة كالواحد غير أن الاحد إنما يطلق على ما لا يقبل الكثرة لا خارجا ولا ذهنيا ولذلك لا يقبل العد ولا يدخل في العدد بخلاف الواحد فإن كل واحد له ثانيا وثالثا إما خارجا وإما ذهنيا بتوهم أو بفرض العقل فيصير بانضمامه كثيرا، وأما الاحد فكل ما فرض له ثانيا كان هو هو لم يزد عليه شئ. واعتبر ذلك في قولك: ما جاءني من القوم أحد فإنك تنفي به مجيء اثنين منهم وأكثر كما تنفي مجيء واحد منهم بخلاف ما لو قلت: ما جاءني واحد منهم فإنك إنما تنفي به مجيء واحد

منهم بالعدد ولا ينافيه مجئ اثنين منهم أو أكثر، ولافادته هذا المعنى لا يستعمل في الايجاب مطلقا إلا فيه تعالى ومن لطيف البيان في هذا الباب قول

علي عليه أفضل السلام في بعض خطبه في توحيدته تعالى: كل مسمى بالوحدة غيره قليل، وقد أوردنا طرفا من كلامه عليه السلام في التوحيد في ذيل البحث عن توحيد القرآن في الجزء السادس من الكتاب. قوله تعالى: " الله الصمد " الاصل في معنى الصمد القصد أو القصد مع الاعتماد يقال: صمده يصمده صمدا من باب نصر أي قصده أو قصده معتمدا عليه، وقد فسروا الصمد - وهو صفة - بمعاني متعددة مرجع أكثرها إلى انه السيد المصمود إليه اي المقصود في الحوائج، وإذا اطلق في الآية ولم يقيد بقيد فهو المقصود في الحوائج على الاطلاق. وإذا كان الله تعالى هو الموجد لكل ذي وجود مما سواه يحتاج إليه فيقصده كل ما صدق عليه انه شئ غيره، في ذاته وصفاته وآثاره قال تعالى: " ألا له الخلق والامر " الاعراف: 54 وقال واطلق: " وان إلى ربك المنتهى " النجم: 42 فهو الصمد في كل حاجة في الوجود لا يقصد شيئا إلا وهو الذي ينتهي إليه قصده وينجح به طلبته ويقضي به حاجته. ومن هنا يظهر وجه دخول اللام في الصمد وانه لافادة الحصر فهو تعالى وحده الصمد على الاطلاق، وهذا بخلاف احد في قوله: " الله احد " فإن احدا بما يفيد من معنى الوحدة الخاصة لا يطلق في الاثبات على غيره تعالى فلا حاجة فيه إلى عهد أو حصر. واما إظهار اسم الجلالة ثانيا حيث قيل: " الله الصمد " ولم يقل: هو الصمد، ولم يقل: الله احد صمد فالظاهر ان ذلك للإشارة إلى كون كل من الجملتين وحدها كافية في تعريفه تعالى حيث إن المقام مقام تعريفه

تعالى بصفة تختص به فقيل: الله احد الله الصمد إشارة إلى ان المعرفة به حاصلة سواء قيل كذا أو قيل كذا. والآيتان مع ذلك تصفانه تعالى بصفة الذات وصفة الفعل جميعا فقوله: " الله احد " يصفه بالاحدية التي هي عين الذات، وقوله: " الله الصمد " يصفه بانتهاء كل شئ إليه وهو من صفات الفعل. وقيل: الصمد بمعنى المصمت الذي ليس بأجوف فلا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يلد ولا يولد وعلى هذا يكون قوله: " لم يلد ولم يولد " تفسيرا للصمد. قوله تعالى: " لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " الآيتان الكریمتان تنفيان عنه تعالى أن يلد شيئا بتجزيه في نفسه فينفصل عنه شئ سنخه بأي معنى أريد من الانفصال

والاشتقاق كما يقول به النصارى في المسيح عليه السلام انه ابن الله وكما يقول الوثنية في بعض آلهتهم أنهم أبناء الله سبحانه. وتنفيان عنه أن يكون متولدا من شئ آخر ومشتقا منه بأي معنى اريد من الاشتقاق كما يقول الوثنية ففي آلهتهم من هو إله أبواله ومن هو إلهة ام إله ومن هو إله ابن إله. وتنفيان أن يكون له كفؤ يعدله في ذاته أو في فعله (1) وهو الایجاد والتدبير ولم يقل أحد من المليون وغيرهم بالكفؤ الذاتي بأن يقول بتعدد واجب الوجود عز اسمه، وأما الكفؤ في فعله وهو التدبير فقد قيل به كآلهة الوثنية من البشر كفرعون ومروود من المدعين للالوهية وملاك الكفاءة عندهم استقلال من يرون الوهيته في تدبير ما فوض إليه تدبيره كما أنه تعالى مستقل في تدبير من يدبره وهم الارباب والآلهة وهو رب الارباب وإله الآلهة. وفي معنى كفاءة هذا النوع من الاله ما يفرض من استقلال الفعل في شئ من الممكنات فإنه كفاءة مرجعها استغناؤه عنه تعالى وهو محتاج من كل جهة والآية تنفيها. وهذه الصفات

الثلاث المنفية وإن امكن تفريع نفيها على صفة احديته تعالى بوجه لكن الاسبق إلى الذهن
تفرعها على صفة صمديته. اما كونه لم يلد فإن الولادة التي هي نوع من التجزي والتبعض بأي
معنى فسرت لا تخلو من تركيب فيمن يلد، وحاجة المركب إلى اجزائه ضرورية والله سبحانه
صمد ينتهي إليه كل محتاج في حاجته ولا حاجة له، واما كونه لم يولد فان تولد شيء من شيء
لا يتم إلا مع حاجة من المتولد إلى ما ولد منه في وجوده وهو سبحانه صمد لا حاجة له، واما
انه لا كفؤ له فلان الكفؤ سواء فرض كفوا له في ذاته أو في فعله لا تتحقق كفاءته إلا مع
استقلاله واستغنائه عنه تعالى فيما فيه الكفاءة والله سبحانه صمد على الاطلاق يحتاج إليه
كل من سواه من كل جهة مفروضة. فقد تبين ان ما في الآيتين من النفي متفرع على صمديته
تعالى ومآل ما ذكر من صمديته تعالى وما يتفرع عليه إلى إثبات توحيده تعالى في ذاته وصفاته
وافعاله بمعنى انه واحد لا يناظره شيء ولا يشبهه فذاته تعالى بذاته ولذاته من غير استناد إلى
غيره واحتياج إلى من سواه وكذا صفاته وافعاله، وذوات من سواه وصفاتهم وافعالهم بإفاضة منه
على ما يليق بساحة كبريائه وعظمته فمحصل السورة وصفه تعالى بأنه احد واحد.

(1) لم تذكر الصفة لأنها اما صفة الذات فهي عين الذات واما صفة الفعل منتزعة عن الفعل،

منه.

ومما قيل في الآية ان المراد بالكفوؤ الزوجة فان زوجة الرجل كفؤه فيكون في معنى قوله تعالى: " جد ربنا ما اتخذ صاحبة " وهو كما ترى. (بحث روائي) في الكافي باسناده عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلام قال: إن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: انسب لنا ربك فلبث ثلاثا لا يجيبهم ثم نزلت " قل هو الله احد " إلى آخرها. أقول: وفي الاحتجاج عن العسكري عليه السلام ان السائل عبد الله بن سوريا اليهودي، وفي بعض روايات اهل السنة ان السائل عبد الله بن سلام سأله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بمكة ثم آمن وكنتم إيمانه، وفي بعضها ان اناسا من اليهود سألوه ذلك، وفي غير واحد من رواياتهم ان مشركي مكة سألوه ذلك، وكيف كان فالمراد بالنسبة النعت والوصف. وفي المعاني باسناده عن الاصبغ بن نباتة عن علي عليه السلام في حديث: نسبة الله عز وجل قل هو الله. وفي العلل باسناده عن الصادق عليه السلام في حديث المعراج ان الله قال له اي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: اقرء قل هو الله احد كما انزلت فانها نسبتى ونعتي. أقول: وروى ايضا باسناده إلى موسى بن جعفر عليه السلام ما في معناه. وفي الدر المنثور اخرج ابو عبيد في فضائله عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قل هو الله احد ثلث القرآن. أقول: وقد تكاثرت الروايات من طرقهم في هذا المعنى روه عن عدة من الصحابة كابن عباس وقد مر واي الدرداء وابن عمر وجابر وابن مسعود واي سعيد الخدري ومعاذ ابن أنس وأبي أيوب وأبي أمامة وغيرهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وورد أيضا في عدة من الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد وجهوا كون السورة تعدل ثلث القرآن بوجه مختلفة أعدلها أن ما في القرآن من المعارف تنحل إلى الاصول الثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد والسورة

تتضمن واحدا من الثلاثة وهو التوحيد. وفي التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام رأيت الخضر عليه السلام في المنام قبل بدر بليلة فقلت له: علمني شيئا أنصر به على الاعداء فقال: قل: يا هو يا من لا هو إلا هو فلما أصبحت قصصتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي: يا علي علمت الاسم الاعظم فكان على

لساني يوم بدر. وإن أمير المؤمنين عليه السلام قرء قل هو الله أحد فلما فرغ قال: يا هو يا من لا هو إلا هو اغفر لي وانصرتني على القوم الكافرين. وفي نهج البلاغة: الاحد لا بتأويل عدد. اقول: ورواه في التوحيد عن الرضا عليه السلام ولفظه: أحد لا بتأويل عدد. وفي اصول الكافي باسناده عن داود بن القاسم الجعفري قال: قلت لابي جعفر الثاني عليه السلام: ما الصمد؟ قال عليه السلام: السيد المصمود إليه في القليل والكثير. اقول: وفي تفسير الصمد معان أخر مروية عنهم عليه السلام فعن الباقر عليه السلام الصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه أمر وناه، وعن الحسين عليه السلام: الصمد الذي لا جوف له والصمد الذي لا ينام، والصمد الذي لم يزل ولا يزال، وعن السجاد عليه السلام: الصمد الذي إذا أراد شيئا قال له: كن فيكون، والصمد الذي أبدع الاشياء فخلقها أضدادا وأشكالا وأزواجا وتفرد بالوحدة بلا ضد ولا شكل ولا مثل ولا ند. والاصل في معنى الصمد هو الذي روينا عن أبي جعفر الثاني عليه السلام لما في مادته لغة في معنى القصد فالمعاني المختلفة المنقولة عنهم عليهم السلام من التفسير يلازم المعنى فإن المعاني المذكورة لوازم كونه تعالى مقصودا يرجع إليه كل شئ في كل حاجة فيأليه ينتهي الكل من دون أن تتحقق فيه حاجة. وفي التوحيد عن وهب بن وهب

القرشي عن الصادق عن آباءه عليهم السلام أن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليه السلام يسألونه عن الصمد فكتب إليهم: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه ولا تتكلموا فيه بغير علم فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوء مقعده من النار، وإن الله سبحانه فسر الصمد فقال: الله أحد الله الصمد ثم فسره فقال: لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. وفيه باسناده إلى ابن أبي عمير عن موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: واعلم أن الله تعالى واحد أحد صمد لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك. وفيه في خطبة أخرى لعلي عليه السلام الذي لم يولد فيكون في العز مشاركا ولم يلد فيكون موروثا هالكا.

وفيه في خطبة له عليه السلام: تعالى أن يكون له كفؤ فيشبهه به. اقول: وفي المعاني

المتقدمة روايات أخرى.